أشراط الساعة

تأليف

يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل

دار ابن الجوزي

الفصل الثالث

نزول عيسى عليه السلام

قبل أن نتحدَّث عن نزول عيسى بن مريم عليه السلام يحْسُنُ بنا أن نتعرَّف على صفته التي وردت بها النُّصوص الشرعية . . .

○ صفةُ عيسى عليه السلام:

صفته التي جاءت بها الروايات أنه رجلٌ، مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعدٌ، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديماس ـ أي: حمَّام ـ له لمة[1] قد رجَّلها تملأ ما بين منكبيه.

الأحاديث الواردة في ذلك:

منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي لقيتُ موسى . . . (فنعتَهُ إلى أن قال:) ولقيتُ عيسى . . . (فنعته فقال:) ربعةٌ، أحمرُ، كأنما خرج من ديماس (يعني:

---

(١) (اللمة)؛ بكسر اللام: شعر الرأس. يقال له إذا جاوز شحمة الأذنين: لمة. وإذا زاد عن ذلك فهو: جمة.

انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤ / ٢٧٣).

الحمام)»[1].

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى؛ فأحمر جعدٌ عريضُ الصَّدر»[2].

وروى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتَني في الحجر وقريشٌ تسألني... (فذكر الحديث، وفيه:) وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائمٌ يصلي، أقرب الناس به شبهاً عروة ابن مسعود الثقفي[3]».

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿واذْكُرْ في الكِتَابِ مَرْيَم﴾ [مريم: ١٦]، (٦ / ٤٧٦ ـ مع الفتح)، و«صحيح مسلم»، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، (٢ / ٢٣٢ ـ مع شرح النووي).

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿واذْكُرْ في الكِتابِ مريم﴾، (٦ / ٤٧٧ ـ مع الفتح).

(٣) هو الصحابي الجليل أبو مسعود عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي رضي الله عنه، أسلم بعد انصراف النبي ﷺ من الطائف، وكانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبية، وكان رجلاً محبَّباً مطاعاً في قومه أهل الطائف، فلما دعاهم إلى الإسلام؛ قتلوه، ولما أصابه سهم منهم؛ قيل له: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فقال فيه النبي ﷺ: «مثل عروة مثل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله، فقتلوه».

وقيل: إنه المراد بقوله تعالى: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هذا القُرْآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٣ / ١٠٦٦ ـ ١٠٦٧) تحقيق علي البجاوي لابن عبدالبر، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٢ / ٤٧٧ ـ ٤٧٨) لابن حجر، =

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم[1] كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، له لِمَّةٌ كأحسن ما أنت راء من اللِّمم، قد رجَّلها، فهي تقطر ماء، متَّكئاً على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت: مَن هٰذا؟ فقيل: هٰذا المسيح بن مريم»[2].

وفي رواية للبخاري عن ابن عمر؛ قال: «لا والله؛ ما قال النبي ﷺ لعيسى أحمر، ولكن قال: (فذكر تمام الحديث بنحو الرواية السابقة)»[3].

وفي رواية لمسلم عنه رضي الله عنه؛ قال ﷺ: «فإذا رجُلٌ آدَمُ... (إلى أن قال:) رَجِلُ الشَّعر»[4].

والجمع بين هٰذه الروايات من كونه في بعضها أحمر، وبعضها آدم، وما جاء أنه سبط الشعر، وفي بعضها بأنه جعد:

= و«تجريد أسماء الصحابة» (١ / ٣٨٠) للذهبي.

والحديث في «صحيح مسلم»، باب ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام، (٢ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ـ مع شرح النووي).

(١) (آدم): الآدم هو الأسمر الشديد السمرة، وقيل: هو من أدمة الأرض؛ أي: لونها، وبه سمي آدم عليه السلام.

انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١ / ٣٢).

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء، (٦ / ٤٧٧ ـ مع الفتح)، و«صحيح مسلم»، باب ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام، (٢ / ٢٣٣ ـ مع شرح النووي).

(٣) «صحيح البخاري» (٦ / ٤٧٧).

(٤) «صحيح مسلم» (٢ / ٢٣٦).

إنه لا منافاة بين الحُمرة والأُدْمَة؛ لجواز أن تكون أُدمته صافية[1].

وأما ما جاء من إنكار ابن عمر لرواية أن عيسى أحمر؛ فهو مخالفٌ لما حفظه غيره، فقد روى أبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام أحمر اللون.

وأما كونه في رواية سبط الشعر، وفي أخرى أنه جعدٌ، والجعد ضد السبط، فيمكن أن يجمع بينهما بأنه سبط الشعر، وأما وصفه بأنه جعدٌ؛ فالمراد بذلك جعودةٌ في جسمه لا شعره، وهو اجتماع اللحم واكتنازه[2].

○ صفة نزوله عليه السلام:

بعد خروج الدَّجَّال، وإفساده في الأرض، يبعث الله عيسى عليه السلام، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، وعليه مهرودتان[3]، واضعاً كفَّيْهِ على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، ولا يَحِلُّ لكافرٍ يجِدُ ريح نَفَسه إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التي تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدَّجَّال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلي خلف أمير

---

(١) «الإشاعة» (ص ١٤٣).

(٢) انظر: «فتح الباري» (٦ / ٤٨٦).

(٣) (مهرودتان): روي بالدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والمعنى: لابس مهرودتين؛ أي ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران.

انظر: «شرح النووي لمسلم» (١٨ / ٦٧)، و«لسان العرب» (٣ / ٤٣٥)، و«النهاية في غريب الحديث» (٥ / ٢٥٨).

تلك الطائفة.

قال ابن كثير: «هٰـذا هو الأشهـر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هٰذا هو المحفوظ... وليس بدمشق منـارة تعـرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه، وهٰذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه ينزل وقد أُقيمت الصلاة، فيقول له إمام المسلمين: يا روح الله! تقدَّم. فيقول: تقدَّم أنت؛ فإنه أُقيمت لك. وفي رواية: بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هٰذه الأمة[1]»[2].

وذكـر ابن كثير أنـه في زمنـه سنـة إحدى وأربعين وسبع مئة جدَّد المسلمون منارة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذي حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعلَّ هٰذا يكون من دلائل النبوَّة الظاهرة، حيث قيَّض الله بناء هٰذه المنارة من أموال النصارى، لينزل عيسى بن مريم عليها، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، ولكن من أسلم وإلا قُتِل، وكذٰلك غيرهم من الكفار[3].

ففي حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر خروج الدَّجَّال ثم نزول عيسى عليه السلام قال ﷺ: «إذا بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، (٢ / ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ مع شرح النووي).

(٢) «النهاية / الفتن والملاحم» (١ / ١٤٤ ـ ١٤٥)، تحقيق د. طه زيني.

(٣) انظر «النهاية / الفتن والملاحم» (١ / ١٤٥).

ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّرَ منه جُمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحلُّ لكافرٍ يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه ـ أي: يطلب الدَّجَّال ـ حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدِّثُهم بدرجاتهم في الجنة»[1].

○ أدلَّة نزوله عليه السلام:

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابتٌ في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى.

أ ـ أدلة نزوله من القرآن الكريم:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٦١].

فهذه الآيات جاءت في الكلام على عيسى عليه السلام، وجاء في آخرها قوله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾؛ أي: نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامةٌ على قرب الساعة، ويدلُّ على ذلك القراءة الأخرى: ﴿وإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ﴾؛ بفتح العين واللام؛ «أي: علامة وأمارة على قيام الساعة، وهذه القراءة مرويَّة عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أئمَّة التفسير»[2].

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، (١٨ / ٦٧ ـ ٦٨ ـ مع شرح النووي).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٦ / ١٠٥)، وانظر: «تفسير الطبري» (٢٥ / ٩٠ ـ ٩١).

وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هٰذه الآية: ﴿وإِنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾؛ قال: «هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»[1].

وقال الحافظ ابن كثير: «الصحيح أنه ـ أي: الضمير ـ عائد على عيسى؛ فإن السياق في ذكره»[2].

واستبعد أن يكون معنى الأية: ما بُعِثَ به عيسى عليه السلام من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذٰلك من ذوي الأسقام.

وأبعدُ من ذٰلك ما رُوِيَ عن بعض العلماء أن الضَّمير في ﴿وإِنَّهُ﴾ عائدٌ على القرآن الكريم[3].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسيحَ عِيسى بنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ ومَا قَتَلُوهُ ومَا صَلَبُوهُ ولٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهيداً﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٩].

فهٰذه الآيات؛ كما أنها تدلُّ على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيْسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ورافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

---

(١) «مسند أحمد» (٤ / ٣٢٩) (ح ٢٩٢١)، تحقيق أحمد شاكر، وقال: «إسناده صحيح».

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧ / ٢٢٢).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧ / ٢٢٣).

فإنها تدلُّ على أنَّ من أهل الكتاب مَن سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان، وذٰلك عند نزوله[1] وقبل موته؛ كما جاءت بذٰلك الأحاديث المتواترة الصحيحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في جوابه لسؤال وُجِّهَ إليه عن وفاة عيسى ورفعه: «الحمد لله، عيسى عليه السلام حيٌّ، وقد ثبت في الصَّحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[2]، وثبت في الصحيح عنه أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يقتل الدَّجَّال، ومَن فارقت روحه جسده؛ لم ينزل جسده من السماء، وإذا أُحيي؛ فإنه يقوم من قبره.

وأما قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾؛ فهٰذا دليلٌ على أنه لم يعنِ بذٰلك الموت، إذ لو أراد بذٰلك الموت؛ لكان عيسى في ذٰلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم، ويعرج بها إلى السماء، فعُلِم أن ليس في ذٰلك خاصِّيَّة، وكذٰلك قوله: ﴿**وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، ولو كان قد فارقت روحه جسده؛ لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء، أو غيره من الأنبياء.

وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ**

---

(١) نزولاً حقيقيّاً، وليس المراد بنزوله وحكمه في الأرض في آخر الزمان كناية عن غلبة روحه وسر رسالته على الناس بما غلب عليها من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها؛ فإن ذٰلك مخالفٌ للأحاديث المتواترة في أنه ينزل بروحه وجسده كما رفع بروحه وجسده عليه السلام.

(٢) انظر كلام الشيخ محمد عبده في «تفسير المنار» (٣ / ٣١٧).

﴿لَهُمْ وإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فيهِ لَفي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وما قَتَلُوهُ يَقيناً . بل رَفَعَهُ اللهُ إِليهِ﴾، فقوله هنا: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِليهِ﴾ يُبَيِّنُ أنه رُفع بدنه وروحه؛ كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه، إذ لو أُريد موته؛ لقال: وما قتلوه وما صلبوه، بل مات...

ولهٰذا قال مَن قال من العلماء: إني متوفِّيك؛ أي: قابضك؛ أي: قابض روحك وبدنك؛ يقال: توفيت الحساب واستوفيته.

ولفظ (التَّوَفِّي) لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن، ولا توفيهما جميعاً؛ إلا بقرينة منفصلة.

وقد يُراد به توفِّي النوم؛ كقوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِها﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿وهُوَ الَّذي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيْلِ ويَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقوله: ﴿حَتَّى إِذا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾ [الأنعام: ٦١]»[1].

وليس الكلام في هٰذا البحث عن رفع عيسى عليه السلام، وإنما جاء ذكر ذٰلك لبيان أنه رُفِعَ ببدنه وروحه، وأنه حيٌّ الآن في السماء، وسينزل في آخر الزمان، ويؤمن به من كان موجوداً من أهل الكتاب؛ كما قال تعالى: ﴿وإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.

قال ابن جرير: «حدثنا ابن بشار؛ قال: حدثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس: ﴿وإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إِلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٢٢ - ٣٢٣).

﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾؛ قال: قبل موت عيسى بن مريم»[1].

قال ابن كثير: «وهٰذا إسنادٌ صحيحٌ»[2].

ثم قال ابن جرير بعد سياقه للأقوال في معنى هٰذه الآية: «وأولى الأقوال بالصحة قول مَن قال: تأويل ذٰلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمِنَنَّ بعيسى قبل موت عيسى»[3].

وروى بسنده عن الحسن البصري أنه قال: «قبل موت عيسى، والله إنه الآن حيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون»[4].

وقال ابن كثير: «ولا شك أن هٰذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادَّعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم مَن سلَّم لهم من النصارى الجهلة ذٰلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذٰلك، وإنما شُبِّهَ لهم، فقتلوا الشبيه وهم لا يتبيَّنون ذٰلك، ثم إنه رُفع إليه، وإنه باقٍ حيٌّ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة؛ كما دلَّت على ذٰلك الأحاديث المتواترة»[5].

وذَكَرَ أنه روي عن ابن عباس وغيره أنه أعاد الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ موتِهِ﴾ على أهل الكتاب، وقال: «إن ذٰلك لو صح لما كان منافياً لهٰذا،

---

(١) «تفسير الطبري» (٦ / ١٨).

(٢) «النهاية / الفتن والملاحم» (١ / ١٣١).

وأثر ابن عباس صححه أيضاً ابن حجر في «الفتح» (٦ / ٤٩٢).

(٣) «تفسير الطبري» (٦ / ٢١).

(٤) «تفسير الطبري» (١ / ١٨).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٤١٥).

ولكن الصحيح في المعنى والإسناد ما ذكرناه»[1].

ب ـ أدلَّة نزوله من السنَّة المطهَّرة:

الأدلَّة من السنة على نزول عيسى عليه السلام كثيرةٌ ومتواترةٌ، سبق ذكر بعضها، وسأذكر هنا بعضاً منها خشية الإطالة:

١ ـ فمنها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ ليوشكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدُّنيا وما فيها».

ثم يقول أبو هريرة: «واقرؤوا إن شئتُم: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾»[2].

وهٰذا تفسيرٌ من أبي هريرة رضي الله عنه لهٰذه الآية بأن المراد بها أن مِن أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته، وذٰلك عند نزوله آخر الزمان؛ كما سبق بيانه.

٢ ـ وروى الشيخان أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «كيفَ أنتُم إذا أُنزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟!»[3].

---

(١) «النهاية / الفتن والملاحم» (١ / ١٣٧).

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، (٦ / ٤٩٠ ـ ٤٩١ ـ مع الفتح)، و«صحيح مسلم»، باب نزول عيسى بن مريم ﷺ حاكما (٢ / ١٨٩ ـ ١٩١ ـ مع شرح النووي).

(٣) «صحيح البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهم =

٣ ـ وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه؛ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقـول: «لا تزال طائفـة من أُمَّتي يقـاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامـة؛ قال: فينـزل عيسى بن مريم ﷺ، فيقـول أميرُهم: صلِّ لنـا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هٰذه الأمة»(١).

٤ ـ وتقدَّم حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة الكبرى، وفيه: «ونزول عيسى بن مريم ﷺ»(٢).

٥ ـ وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعَلَّات، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازلٌ، فإذا رأيتُموه؛ فاعرفوه»(٣).

○ الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام متواترة:

ذكـرتُ فيمـا سبق بعض الأحـاديث الـواردة في نزول عيسى عليه

= السلام، (٦ / ٤٩١ ـ مع الفتح)، و«صحيح مسلم»، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً، (٢ / ١٩٣ ـ مع شرح النووي).

(١) «صحيح مسلم»، باب نزول عيسى بن مريم ﷺ حاكماً، (٢ / ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ مع شرح النووي).

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، (١٨ / ٢٧ ـ ٢٨ ـ مع شرح النووي).

(٣) «مسند أحمد» (٢ / ٤٠٦ ـ بهامشه منتخب الكنز).

والحديث صحيح. انظر: هامش «عمدة التفسير» (٤ / ٣٦)، تحقيق الشيخ أحمد شاكر. وصدر هٰذا الحديث رواه: البخاري (٦ / ٤٧٨ ـ مع الفتح)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢ / ٥٩٥)، وقال: «هٰذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

السلام، ولم أذكر جميع الأحاديث الواردة في نزوله؛ خشية أن يطول البحث، وقد جاءت هٰذه الأحاديث في الصحاح والسنن والمسانيد وغيره من دواوين السنة، وهي تدلُّ دلالة صريحة على ثبوت نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ولا حجَّة لمَن ردَّها، أو قال: إنها أحاديث آحاد لا تقوم بها الحجة، أو: إن نزوله ليس عقيدة من عقائد المسلمين التي يجب عليهم أن يؤمنوا بها[1]؛ لأنه إذا ثبت الحديث؛ وجب الإيمان به، وتصديق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، ولا يجوز لنا ردُّ قوله؛ لكونه حديث آحاد؛ لأن هٰذه حجة واهية، سبق أن عقدتُ فصلاً في أول هٰذا البحث بيَّنْتُ فيه أن حديث الآحاد إذا صحَّ؛ وجب تصديق ما فيه، وإذا قلنا: إن حديث الآحاد ليس بحجة؛ فإننا نردُّ كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ، ويكون ما قاله عليه الصلاة والسلام عبثاً لا معنى له، كيف والعلماء قد نصُّوا على تواتر الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام؟!

وسأذكر هنا طائفة من أقوالهم:

---

(١) انظر كتاب «الفتاوى» (ص ٥٩ ـ ٨٢) للشيخ محمود شلتوت، طبع دار الشروق، ط. ٨، عام ١٣٩٥هـ، بيروت؛ فإنه رحمه الله أنكر فيه على مَن قال برفع عيسى عليه السلام ببدنه، وأيضاً أنكر نزوله في آخر الزمان، ورد الأحاديث الواردة في ذٰلك، وقال: إنه لا حجة فيها؛ لأنها أحاديث آحاد!!

ومسألة رفع عيسى وهل هو ببدنه أو بروحه مسألة خلافية بين العلماء، ولكن الحق أنه رفع ببدنه وروحه؛ كما ذهب إلى ذٰلك جمهور المفسرين؛ كالطبري، والقرطبي، وابن تيمية، وابن كثير، وغيرهم من العلماء.

انظر: «تفسير الطبري» (٣ / ٢٩١)، و«تفسير القرطبي» (٤ / ١٠٠)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢ / ٤٠٥).

قال ابن جرير الطبري ـ بعد ذكره الخلاف في معنى وفاة عيسى ـ: «وأولى هٰذه الأقوال بالصحة عندنا قولُ مَن قال: «معنى ذٰلك: إني قابضك من الأرض، ورافعك إلي»؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدَّجَّال»[1].

ثم ساق بعض الأحاديث الواردة في نزوله.

وقال ابن كثير: «تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً»[2].

ثم ذكر أكثر من ثمانية عشر حديثاً في نزوله.

وقال صديق حسن: «والأحاديث في نزوله عليه السلام كثيرة، ذكر الشوكاني منها تسعة وعشرين حديثاً؛ ما بين صحيح، وحسن، وضعيف منجبر، منها ما هو مذكورٌ في أحاديث الدَّجَّال... ومنها ما هو مذكورٌ في أحاديث المنتظر، وتنضمُّ إلى ذٰلك أيضاً الآثار الواردة عن الصحابة، فلها حكم الرفع، إذ لا مجال لاجتهاد في ذٰلك».

ثم ساقها وقال: «جميع ما سقناه بالغ حدَّ التواتر كما لا يخفى على من له فضلُ اطِّلاع»[3].

وقال الغُماري[4]: «وقد ثبت القول بنزول عيسى عليه السلام عن غير

---

(١) «تفسير الطبري» (٣ / ٢٩١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧ / ٢٢٣).

(٣) «الإذاعة» (ص ١٦٠).

(٤) هو أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، من علماء هٰذا العصر.

واحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة والعلماء من سائر المذاهب على ممر الزمان إلى وقتنا هٰذا»[1].

وقال: «تواتر هٰذا تواتراً لا شكَّ فيه، بحيث لا يصحُّ أن ينكره إلا الجهلة الأغبياء؛ كالقاديانية ومَن نحا نحوهم؛ لأنه نُقِل بطريق جمع عن جمع، حتى استقرَّ في كتب السنة التي وصلت إلينا تواتراً بتلقِّي جيل عن جيل»[2].

وقد ذكر من رواه من الصحابة، فعد أكثر من خمسة وعشرين صحابيّاً، رواه عنهم أكثر من ثلاثين تابعيّاً، ثم رواه تابعو التَّابعين بأكثر من هٰذا العدد... وهٰكذا حتى أخرجه الأئمة في كتب السنة، ومنها المسانيد؛ كـ «مسند» الطيالسي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وأبي يعلى، والبزار، والديلمي، ومن أصحاب الصحاح: البخاري، ومسلم، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وأبو عوانة، والإسماعيلي، والضياء المقدسي، وغيرهم، ورواه أصحاب الجوامع، والمصنَّفات، والسنن، والتفسير بالمأثور، والمعاجم، والأجزاء، والغرائب، والمعجزات، والطبقات، والملاحم.

وممَّن جمع الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام الشيخ محمد أنور شاه الكشميري[3] في كتابه «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»،

---

(١) «عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام» (ص ١٢).

(٢) «عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام» (ص ٥).

(٣) هو الشيخ المحدث محمد أنور شاه الكشميري الهندي، له عدة مصنفات، منها: «فيض الباري على صحيح البخاري» في أربعة مجلدات، و«العرف الشذي على =

فذكر أكثر من سبعين حديثاً.

وقال صاحب «عون المعبود شرح سنن أبي داود»: «تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول عيسى بن مريم ﷺ من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة، وهٰذا هو مذهب أهل السنة»[1].

وقال الشيخ أحمد شاكر: «نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون؛ لورود الأخبار الصحاح عن النبي ﷺ بذٰلك، وهٰذا معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة، لا يؤمن من أنكره»[2].

وقال في تعليقه على «مسند الإمام أحمد»: «وقد لعب المجدِّدون أو المجرِّدون في عصرنا الذي نحيا فيه بهٰذه الأحاديث الدالَّة صراحة على نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، قبل انقضاء الحياة الدُّنيا، بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة، وبالإنكار الصريح أخرى! ذٰلك أنهم ـ في حقيقة أمرهم ـ لا يؤمنون بالغيب، أو لا يكادون يؤمنون، وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يُعْلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل»[3].

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: «اعلم أن أحاديث الدَّجَّال

= جامع الترمذي»، وغيرهما، توفي (١٣٥٢هـ) رحمه الله في مدينة ديونيد.

انظر ترجمته في مقدمة كتاب «التصريح» للشيخ عبدالفتاح أبو غدة.

(١) «عون المعبود» (١١ / ٤٥٧) لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي.

(٢) من حاشية «تفسير الطبري» (٦ / ٤٦٠)، تخريج الشيخ أحمد شاكر، وتحقيق محمود شاكر، مطبعة دار المعارف، مصر.

(٣) «حاشية مسند الإمام أحمد» (١٢ / ٢٥٧).

ونزول عيسى عليه السلام متواترة، يجب الإيمان بها، ولا تغترَّ بمن يدَّعي فيها أنها أحاديث آحاد؛ فإنهم جُهَّال بهٰذا العلم، وليس فيهم مَن تتبَّعَ طرقها، ولو فعل؛ لوجدها متواترة؛ كما شهد بذٰلك أئمة هٰذا العلم؛ كالحافظ ابن حجر.

ومن المؤسف حقّاً أن يتجرَّأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لا سيما والأمر دينٌ وعقيدة»[1].

ونزول عيسى عليه السلام ذكره طائفةٌ من العلماء في عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنه ينزل لقتل الدَّجَّال قبَّحه الله.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «أصول السنة عندنا: التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة».

ثم ذكر جملةً من عقيدة أهل السنة، ثم قال: «والإيمان أن المسيح الدَّجَّال خارجٌ مكتوبٌ بين عينيه (كافر)، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذٰلك كائنٌ، وأن عيسى ينزل فيقتله بباب لد»[2].

وقال أبو الحسن الأشعري[3] رحمه الله في سرده لعقيدة أهل

---

(١) «حاشية شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٥٦٥) بتخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني محدث الشام.

(٢) «طبقات الحنابلة» (١ / ٢٤١ ـ ٢٤٣) للقاضي الحسن بن محمد بن أبي يعلى، طبع دار المعرفة للنشر، بيروت.

(٣) هو الإمام العلامة أبو الحسن علي بن إسماعيل من ذرية أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل، نشأ في حجر زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره، وقد =

الحديث والسنة: «الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ؛ لا يردُّون من ذٰلك شيئاً... ويصدِّقون بخروج الدَّجَّال، وأن عيسى يقتله».

ثم قال في آخر كلامه:

«وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب»[1].

وقال الطحاوي[2]: «ونؤمن بأشراط الساعة؛ من خروج الدَّجَّال،

= تتلمذ عليه، واعتنق مذهبه ما يقارب من أربعين سنة، ثم هداه الله إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فأعلن أنه على مذهب أحمد بن حنبل، وله مصنفات كثيرة بلغت خمسة وخمسين مصنفاً، وقد ذكرت الدكتورة فوقية حسين محمود في مقدمة تحقيقها لكتاب الإبانة نحو مئة مصنف، ومن أشهرها: «مقالات الإسلاميين»، و«كتاب اللمع»، و«الوجيز»، وغيرها، وكان آخر ما ألف كتاب «الإبانة عن أصول الديانة»، توفي رحمه الله سنة (٣٢٤هـ).

انظر ترجمته في: كتاب «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر (ص ٣٤ ـ وما بعدها)، و«البداية والنهاية» (١١ / ١٨٦)، و«شذرات الذهب» (٢ / ٣٠٣ ـ ٣٠٥)، ومقدمة كتاب «الإبانة» (ص ٧ ـ ١٦) لأبي الحسن الندوي تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، ط. الأولى، نشر دار البيان، دمشق، (١٤٠١هـ)، ومقدمة «الإبانة» تحقيق د. فوقية حسين محمود، ط. الأولى، ١٣٩٧هـ، دار الأنصار، القاهرة.

(١) «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» (١ / ٣٤٥ ـ ٣٤٨)، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الثانية، (١٣٨٩هـ)، طبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٢) هو الحافظ الفقيه المحدث أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي المصري، شيخ الحنفية في عصره في مصر، ونسبته إلى (طحا)؛ قرية بصعيد مصر، له مصنفات كثيرة، منه: «العقيدة الطحاوية»، وكتاب «معاني الآثار»، وكتاب «مشكل =

ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء»[1].

وقال القاضي عياض: «نزول عيسى وقتله الدَّجَّالَ حقٌّ وصحيحٌ عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذٰلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمسيح ﷺ وعلى سائر النبيِّين لا بد أن ينزل إلى الأرض... كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، ولهٰذا كان في السماء الثانية، مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون؛ لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة؛ بخلاف غيره، وآدم كان في سماء الدُّنيا؛ لأن نسم بنيه تُعْرَض عليه»[3].

○ الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره:

تلمَّس بعض العلماء الحكمة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ولهم في ذٰلك عدَّة أقوال:

١ ـ الردُّ على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فبيَّن الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدَّجَّال، كما سبق بيان

= الآثار»، توفي سنة (٣٢١هـ) بمصر رحمه الله.

انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١١ / ١٧٤)، و«شذرات الذهب» (٢ / ٢٨٨)، ومقدمة «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٩ ـ ١١) بتحقيق وتخريج الألباني.

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٥٦٤)، تحقيق الألباني.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٨ / ٧٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٢٩) لابن تيمية.

ذٰلك في الكلام على قتال اليهود[1].

ورجَّحَ الحافظ ابن حجر هٰذا القول على غيره[2].

٢ ـ إن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ؛ كما في قوله تعالى: ﴿ومَثَلُهُمْ في الإنْجيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلى سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فدعا اللهَ أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجدِّداً لأمر الإسلام.

قال الإمام مالك رحمه الله: «بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهٰؤلاء خيرٌ من الحواريِّين فيما بلغنا»[3].

وقال ابن كثير: «وصدقوا في ذٰلك؛ فإن هٰذه الأمة معظَّمة في الكتب المتقدِّمة والأخبار المتداوَلَة»[4].

وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه «تجريد أسماء الصحابة»، فقال: «عيسى بن مريم عليه السلام: صحابيٌّ، ونبيٌّ؛ فإنه رأى النبيَّ ﷺ ليلة الإسراء، وسلَّم عليه، فهو آخر الصحابة موتاً»[5].

٣ ـ إن نزول عيسى عليه السلام من السماء؛ لِدُنُوِّ أجله، ليُدْفَنَ في الأرض، إذ ليس لمخلوقٍ من التراب أن يموت في غيرها، فيوافق نزوله

---

(١) (ص ٣٠٣).

(٢) «فتح الباري» (٦ / ٤٩٣).

(٣ و ٤) «تفسير ابن كثير» (٧ / ٣٤٣).

(٥) «تجريد أسماء الصحابة» (١ / ٤٣٢).

خروج الدَّجَّال، فيقتله عيسى عليه السلام.

٤ ـ إنه ينزل مكذِّباً للنصارى، فيُظْهِر زيفهم في دعواهم الأباطيل، ويُهْلِك الله الملَلَ كلها في زمنه إلا الإسلام؛ فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

٥ ـ إن خصوصيته بهٰذه الأمور المذكورة لقول النبي ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، ليس بيني وبينه نبيٌّ»[١].

فرسول الله ﷺ أخص الناس به، وأقربهم إليه؛ فإن عيسى بشَّر بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده، ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به[٢]؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. وفي الحديث: «قالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم؛ أنا دعوة أبي إبراهيم بشرى أخي عيسى»[٣].

---

(١) «صحيح البخاري» (٦ / ٤٧٧ ـ ٤٧٨ ـ مع الفتح)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿واذْكُرْ في الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها﴾ [مريم: ١٦]، و«صحيح مسلم» (١٥ / ١١٩ ـ مع شرح النووي)، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام.

(٢) انظر: «المنهاج في شعب الإيمان» (١ / ٤٢٤ ـ ٤٢٥) للحليمي، و«التذكرة» للقرطبي (ص ٦٧٩)، و«فتح الباري» (٦ / ٤٩٣)، وكتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» (ص ٩٤) تعليق الشيخ عبدالفتاح أبي غدة.

(٣) رواه ابن إسحاق في «السيرة». انظر: «تهذيب سيرة ابن هشام» (ص ٤٥) لعبدالسلام هارون، طبعة المجمع العلمي العربي الإسلامي، منشورات محمد الداية، بيروت. قال ابن كثير في إسناده: «هٰذا إسناد جيد»، وروى له شواهد من وجوه أخر، رواها الإمام أحمد في «المسند». «تفسير ابن كثير» (٨ / ١٣٦)، و«مسند الإمام أحمد» (٤ / ١٢٧ و ٥ / ٢٦٢ ـ بهامشه منتخب الكنز).

○ بماذا يحكم عيسى عليه السلام؟

يحكم عيسى عليه السلام بالشريعة المحمَّدِيَّة، ويكون من أتباع محمَّد ﷺ؛ فإنه لا ينزل بشرع جديد؛ لأن دينَ الإسلام خاتمُ الأديان، وباقٍ إلى قيام الساعة، لا ينسخ، فيكون عيسى عليه السلام حاكماً من حكام هٰذه الأمة، ومجدِّداً لأمر الإسلام، إذ لا نبيَّ بعد محمَّدٍ ﷺ.

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامُكُم منكم؟!».

فقلتُ (القائل الوليد بن مسلم)[1] لابن أبي ذئب[2]: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة: «وإمامكم منكم». قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمَّكم منكم؟ قلت: تخبرني؟ قال: فأمَّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيِّكم ﷺ[3].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتِلون على الحق، ظاهرين إلى يوم

---

(١) هو الوليد بن مسلم القرشي، مولى بني أمية، عالم الشام، توفي سنة (١٩٥هـ) رحمه الله.

انظر: «تهذيب التهذيب» (١١ / ١٥١ ـ ١٥٢).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمٰن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري، الإمام، الثقة، توفي سنة (١٥٩هـ)، رحمه الله.

انظر: «تهذيب التهذيب» (٩ / ٣٠٣ ـ ٣٠٧).

(٣) «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكماً، (٢ / ١٩٣ ـ مع شرح النووي).

القيامة». قال: «فينزل عيسى بن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ بنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هٰذه الأمة»[1].

قال القرطبي: «ذهب قومٌ إلى أنه بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف؛ لئلا يكون رسولاً إلى أهل ذٰلك الزمان؛ يأمرهم عن الله تعالى، وهٰذا (يعني: كونه رسولاً بعد محمد) أمرٌ مردودٌ بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا نبيَّ بعدي»[2]، وقوله: «وأنا العاقب»[3]؛ يريد آخر الأنبياء وخاتمهم.

وإذا كان ذٰلك؛ فلا يجوز أن يُتوهَّم أن عيسى ينزل نبيّاً بشريعة متجدِّدة غير شريعة محمد نبيِّنا ﷺ، بل إذا نزل؛ فإنه يكون يومئذٍ من أتباع محمَّد ﷺ؛ كما أخبر ﷺ، حيث قال لعمر: «لو كان موسى حيّاً؛ ما وسعه إلا اتِّباعي»[4]، فينزل وقد عُلِّم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما

---

(١) «صحيح مسلم»، (٢ / ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ مع شرح النووي).

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، (١٥ / ١٠٤ ـ مع شرح النووي).

(٣) «صحيح البخاري»، كتاب التفسير، باب ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أحمد﴾ [الصف: ٦]، (٨ / ٦٤٠ ـ ٦٤١ ـ مع الفتح).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٣ / ٣٨٧ ـ بهامشه منتخب الكنز).

قال ابن حجر: «رجاله موثقون؛ إلا أن في مجالد (أحد رواة الحديث) ضعفاً». «فتح الباري» (١٣ / ٣٣٤).

وقد رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠ / ٣١٣ ـ ٣١٤)، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي.

ومجالد هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني الكوفي، روى له مسلم مقروناً بغيره، =

يحتـاج إليه من علم هٰذه الشريعة للحكم به بين الناس، والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذٰلك إليه، ويحكِّمونه على أنفسهم. . . ولأن تعـطيل الحكم غير جائـز، وأيضـاً؛ فإن بقـاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض: الله، الله»[1].

والذي يدلُّ على بقاء التكليف بعد نزول عيسى عليه السلام صلاته مع المسلمين، وحجُّه، وجهاده للكفار.

فأما صلاته؛ فقد سبق في الأحاديث ذكر ذٰلك.

وكذٰلك قتاله للكفار وأتباع الدَّجَّال.

وأمـا حجـه؛ ففي «صحيح مسلم» عن حنـظلة الأسلمي؛ قال: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يحدِّث عن النبي ﷺ؛ قال: «والذي نفسي بيده؛ ليُهِلَّنَّ ابنُ مريم بفجِّ الرَّوحاء[2] حاجّاً أو معتمراً، أو ليثنِيَنَّهما»[3]؛ أي: يجمع بين الحج والعمرة.

وأما وضع عيسى للجزية عن الكفار ـ مع أنها مشروعة في الإسلام

= قال فيه ابن حجر: «صدوق».

انظر: «تهذيب التهذيب» (١٠ / ٣٩ ـ ٤١).

(١) «التذكرة» (ص ٦٧٧ ـ ٦٧٨).

(٢) (فج الروحاء): موضع بين مكة والمدينة، سلكه النبي ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وفي الحج.

انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣ / ٤١٢)، و«معجم البلدان» (٤ / ٢٣٦).

(٣) «صحيح مسلم بشـرح النـووي»، كتاب الحج، باب جواز التمتع في الحج والقرآن، (٨ / ٢٣٤ ـ مع شرح النووي).

قبل نزوله عليه السلام -؛ فليس هٰذا نسخاً لحكم الجزية جاء به عيسى شرعاً جديداً؛ فإن مشروعية أخذ الجزية مقيَّد بنزول عيسى عليه السلام بإخبار نبينا محمد ﷺ، فهو المبيِّن للنَّسخ[1] بقوله لنا: «واللهِ لينزلَنَّ ابنُ مريم حكماً عدلاً، فليكسرَنَّ الصَّليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليضَعَنَّ الجزية»[2].

○ انتشار الأمن وظهور البركات في عهده عليه السلام:

وزمن عيسى عليه السلام زمن امن وسلام ورخاء، يرسل الله فيه المطر الغزير، وتخرج الأرض ثمرتها وبركتها، ويفيض المال، وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد.

فقد جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر الدَّجَّال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عليه السلام ودعائه عليهم وهلاكهم، وفيه قوله ﷺ: «ثم يرسل الله مطراً لا يُكِنُّ منه بيتُ مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[3]، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٦ / ٤٩٢).

(٢) «صحيح مسلم»، باب نزول عيسى عليه السلام حاكماً، (٢ / ٢٩٢ - مع شرح لنووي).

(٣) (الزلفة): روي بفتح الزاي واللام والقاف وروي بالفاء، وكلها صحيحة، ومعناه كالمرآة شبه الأرض بها لصفائها ونظافتها.

انظر: «شرح النووي لمسلم» (١٨ / ٦٩).

بقحفها، ويبارَك في الرِّسل[1]، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من النـاس، واللقحـة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس»[2].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والأنبياء إخوة لعَلَّات[3]؛ أمهاتهم شتَّى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازل... فيهلك الله في زمانه المسيح الدَّجَّال، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنِّمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم»[4].

وروى الإمام مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لينزلَنَّ عيسى بن مريم حكماً عادلاً... وليضعَنَّ الجرية، ولتُتْـرَكَنَّ القِـلاص[5] فلا يُسعى عليهـا، ولتـذهبن الشحنـاء والتبـاغض

(١) (الرِّسل): بكسر الراء وإسكان السين هو اللبن.
انظر: «شرح النووي لمسلم» (١٨ / ٦٩).

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، (١٨ / ٦٣ ـ ٧٠ ـ مع شرح النووي).

(٣) (إخوة لعلات): علات: بفتح العين المهملة، وتشديد اللام. وأولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد؛ أي: أن إيمان الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة.
انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣ / ٢٩١)، و«تفسير الطبري» (٦ / ٤٦٠)، تعليق محمود شاكر، وتخريج أحمد شاكر.

(٤) «مسند أحمد» (٢ / ٤٠٦ ـ بهامشه منتخب الكنز).
قال ابن حجر: «سنده صحيح». «فتح الباري» (٦ / ٤٩٣).

(٥) (القلاص): بكسر القاف، جمع قلوص بفتح القاف، وهي الناقة الشابة. =

والتحاسد، وليدعونَّ إلى المال؛ فلا يقبله أحد»[1].

قال النووي: «ومعناه أن يزهد الناس فيها - أي: الإبل - ولا يرغب في اقتنائها؛ لكثرة الأموال، وقلَّة الآمال، وعدم الحاجة، والعلم بقرب القيامة.

وإنما ذُكِرَت القلاص؛ لكونها أشرف الإبل، التي هي أنفس الأموال عند العرب، وهو شبيهٌ بمعنى قول الله عز وجل: ﴿**وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ**﴾ [التكوير: ٤]، ومعنى: «لا يُسْعَى عليها»: لا يُعْتَنى بها»[2].

وذهب القاضي عياض إلى أن المعنى: أي: لا تُطْلَب زكاتها إذ لا يوجد من يقبلها.

وأنكر هٰذا القول النووي[3].

○ مدة بقائه بعد نزوله ثم وفاته:

وأما مدَّة بقاء عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله؛ فقد جاء في بعض الروايات أن يمكث سبع سنين، وفي بعضها أربعين سنة.

ففي رواية الإمام مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «فيبعث الله عيسى بن مريم... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين

= انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤ / ١٠٠)، و«شرح النووي لمسلم» (٢ / ١٩٢).

(١) «صحيح مسلم»، باب نزول عيسى عليه السلام، (٢ / ١٩٢ - مع شرح النووي).

(٢) «شرح النووي لمسلم» (٢ / ١٩٢).

(٣) انظر «شرح النووي لمسلم» (٢ / ١٩٢).

اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردةً من قِبَلِ الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرَّة من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قبضته»[1].

وفي رواية الإمام أحمد وأبي داود: «فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتَوَفَّى، ويصلي عليه المسلمون»[2].

وكلا هاتين الروايتين صحيحة، وهٰذا مشكلٌ؛ إلا أن تُحْمَلَ رواية السبع سنين على مدَّة إقامته بعد نزوله، ويكون ذٰلك مضافاً إلى مُكْثِه في الأرض قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور[3].

والله أعلم.

OOOOO

---

(١) «صحيح مسلم»، باب ذكر الدجال، (١٨ / ٧٥ ـ ٧٦ ـ مع شرح النووي).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢ / ٤٠٦ ـ بهامشه منتخب الكنز.

قال ابن حجر: «صحيح» (٦ / ٤٩٣).

و«سنن أبي داود»، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، (١١ / ٤٥٦ ـ مع عون المعبود).

(٣) انظر: «النهاية / الفتن والملاحم» (١ / ١٤٦)، تحقيق د. طه زيني.